نجم أحمـــد !

للأستاذ توفيق الحكيم

وقف اليهودى على أحد آطام يثرب ناظرا الى السماء يعلن إلى بنى قومه ميلاد النـــبي فى صيحة مدوية : طلع الليلة نجم أحمد ! عجبا من العجب ! أحقاً لم ير ذلك اليهودى نجم أحمد قبل تلك الليلة ؟ يخيل إلى أن الناس فى ذلك الزمان كانوا يسيرون مطرقين كالعميان . إن نجم أحمد طالع فى كل لحظة يشع نورا من بداية الكون لو أن للكون بداية ، الى نهاية الزمن لو أن للزمن نهاية . نجم أحمد هو الحق . والحق لا يبدأ ولا ينتهى . ولا يظهر ولا يختفى . انه موجود

إذن ما الاسلام ؟ وكيف ظهر الاسلام بظهور محمد ، والمسيحية بظهور المسيح ؛ واليهودية بظهور موسى ؟ هنا لزم التفريق بين الحق وثوب الحق . بين المعنى والأسلوب . ما الاسلام إلا أسلوب من أساليب الحق ، ورداء من أرديته . كذلك المسيحية وكذلك اليهودية . وكذلك كل دين من تلك الأديان السماوية التى تتحد فى الجوهر وتختلف فى المظهر : وهنا نستطيع أن نفاضل بين الأساليب ؛ وهنا فقط يجوز لنا أن نفاخر بالدين الأخير ، إذ جاء باسلوب جامع مانع ، سهل ممتنع ، محكم الوضع ، مصقول التراكيب . فالمفاضلة لا تكون فى الجوهر ، لأنه واحد أحد ؛ إنما المفاضلة فى الأثواب

وهنا يخطر على البال سؤال : هل تجوز المفاضلة بين الأثواب وهى كلها من صنع الخالق المعصوم الذى لا ينبغى أن يخطئ ولا أن يصحح ماسبق أن صدر عنه . أو أن جوهر الحق وحده من شان الله ، أما الأسلوب الذى يعرض به على الناس فهو من شأن الرسل والأنبياء ؟ قبل الإجابة على هذا السؤال يجب النظر فى قضية أخرى : هل للطبع والمزاج والخلق الذى ركب عليه النبى أو الرسول أثر فى أسلوب رسالته ؟ هل شخصية الرسول تطبع بخاتمها شكل الدين الذى يدعو إليه ؟ وهل لظروف العيش التى نشأ عليها النبى دخل فى اتخاذ «القالب» الذى أفرغ فيه «موضوع» النبوة ؟ إن أجب على كل هذا بالإيجاب فان التبعة فى «أسلوب» الأديان تقع بلا مراء على كاهل الأنبياء . والنبى إذن مسئول عن الطريق الذى اتبعه للإبانة عن «الحق» مسئولية ملقاة على «شخصيته» التى صبغت الشريعة بصبغتها . وعلى قدر المسئولية تكون العظمة ؛ وعلى قدر «الشخصية» ذات الوجود الفعلى تقاس العبقرية العظمى والمجد الأسمى .

إن صح هذا الكلام فانى أستطيع القول إن النبى أو الرسول لا يصل إلى الحق متجرداً عن شخصيته . بل انه لا يستطيع الدنو من الحق إلا عن طريق شخصيته . كذلك فعل النبى العربى ، وكذلك فعل المسيح وموسى . وكذلك كل نبى لا يستطيع أن يرى الحق إلا عن طريق إحساسه وطبعه وعقله . وهى ملكات تختلف باختلاف الأشخاص . وهنا يبدو سر تباين الأساليب التى جرت عليها الأديان فى عرض جوهر الحق على الناس . ولعل محمداً هو أكثر الأنبياء حرصاً على تنبيه الناس فى كل مناسبة إلى وجود شخصيته المستقلة ، فهو لا يفتر يذكرهم أنه بشر خاضع للقوانين التى يخضع لها البشر ، وأنه لا يتصل بالله هذا الاتصال الخاص الذى قصر على الرسل إلا إذ يشاء الله . وأنه فى كثير من حياته الخاصة أو العامة حيث لا وحى يهديه السبيل ، يتصرف كما يتصرف البشر . هكذا فعل فى معارك بدر وأحد والخندق إذ كان يستمع إلى مشورة أصحاب الرأى من رجاله . وهكذا فعل إذ لم يخف ميله إلى الطيب والنساء . بل انه أعلن ذلك الميل لعلمه أن الميول من مميزات الطبع التى ركبها الخالق فى البشر . والنبى الحق أجل من أن يكتم مزاجاً أو طبعاً ، وهو يعرف أن المزاج والطبع من مقومات الشخصية .

وهنا تبدو حكمة الاسلام ظاهرة بين سائر الأديان . فهو

دين بسيط فطرى لم تدخله صناعة . كل شيء فيه صادق خالص صاف . ليس فيه انكار لقوانين الطبيعة ، بل فيه مسايرة حكيمة ومصاحبة رشيدة لكل ما فرضه النظام العلوى على البشر من حيث تركيبهم المادى والمعنوى . ذلك أن أسلوب محمد فى إدراك « الحق » كان أسلوباً مستقيما . فهو قد أدرك أن « معنى » الحق إنما هو « السبب » الذى يصدر عنه الناموس الأكبر ، وأن روح الوجود هو « النظام » ، إذ لا يتصور أن تكون « الفوضى » من عناصر الخليقة . بل إن « الفوضى » إذا حلت فى نظام الوجود انقلبت نظاماً ، لأنه لا وجود بلا نظام ؛ بل ان كلمة « الفوضى » لا محل لها إلا فى أدمغة البشر يعبرون بها عن كل ما يحدث شيئا من الخلل فى ترتيب حياتهم الضيقة المحدودة . أما الكون غير المتناهي فلا يعرف غير النظام ، هذا النظام الذى فرض على الانسان والحيوان والجماد . هل من سبيل إلى مخالفته ؟ إن مخالفة النظام الطبيعى للانسان والأشياء مخالفة لله ؛ وكل دين يقف فى وجه النظم الطبيعية لا يمكن أن يكون من عند الله ، لأن الله لا يناقض نفسه . كل هذا فهمه محمد ووعاه ببصيرته النورانية النافذة ، فجاء أسلوب الاسلام فى الأفصاح عن « الحق » واضحاً جلياً ؛ لا يأمر بالرهبنة ، ولا بالفرار من الدنيا ، ولا بتعذيب الجسد من أجل الله لأن الله لا يأمر بتحطيم ما بناه

إنما يريد الله أن تعيش الأحياء طبقاً لقوانين الحياة التى وضعها لها . وأن تجاهد فى سبيل هذه الحياة ، وأن تتغلب على عناصر الفناء بما هيأه لها من مناعة طبيعية . أو مناعة اكتسابية . والدين هو أداة المناعة الاكتسابية لمكافحة عناصر الفناء المادية والأدبية

فلئن كانت غاية الدين عند البشر توفير أسباب الحياة الصحيحة ، والدنيا الصحيحة خير تمهيد لآخرة صحيحة ، فإن الإسلام بلا مراء هو دين الصحة فى كل شيء . فهو ذو صوت جهير فى الدعوة إلى صحة الجسم وصحة العقل وصحة العقيدة . ولئن كان ماضى هذا الدين السليم مجيدا ، فإن مستقبله ولا ريب يبشر بازدهار يعم الأرض لو استطعنا أن نجرده من سفسطة الجامدين ، وننقيه من ثرثرة المتنطعين ، وننقذه من احتكار الجهال المحترفين ، وأن نرده إلى مبادئه البسيطة الصافية التى لا تصدم تقدما ولا تعارض التطور الطبيعى للأذهان والأشياء . وعندئذ فقط نستطيع أن نغزو به كل النفوس وكل العقول . فإن الدين « المثالى » هو الدين البسيط . وهل أبسط من الإسلام شريعة وهى لا تعرف « رجال دين » ولا تقر وجود أناس يجعلون من هداية الناس حرفة يأكلون منها ويكنزون ، ومن « الدين » مهنة تدر الرزق وتعطي متاع « الدنيا » ؟ إن أولئك الذين يجعلون « الدين » سلما « للدنيا » لا « الدنيا » سلما « للدين » قد طردهم الإسلام بعيدا عن حظيرته ، وجعل الدين سمحا باسما باسطا ذراعيه لكل الناس لا احتراف فيه ولا احتكار . نعم ، إن حاجة البشر كافة قد أصبحت متجهة إلى هذا النمير العلوى الصافى من المبادىء البسيطة المستقيمة التى لا خداع فيها ولا تمويه ولا تناقض ولا تشويه ولا إخلال ولا تدخل فى قوانين الطبيعة الأساسية التى وضعها المبدع الأعظم . إذا تم ذلك للإسلام فى هذا العصر فلسوف يأتى يوم يقف فيه أهل الأرض أجمعون من كل جنس ولون على آطام بلادهم يصيحون فى كل حول صيحة ذلك اليهودى :

« لقد طلع نجم أحمد ! »

توفيق الحكيم

ظهر كتاب

الحاكم بأمر الله

وأسرار الدعوة الفاطميـــة

بقلم محمد عبد الله عنان

مؤلف مصر الاسلامية ومواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام وابن خلدون وديوان التحقيق وغيرها

وهو أتم وأوفى بحث كتب عن الحاكم بأمر الله ، وشخصيته العجيبة ، وحياته المدهشة ، واختفائه المؤسى ؛ وعن نظم الخلافة الفاطمية ورسومها ومواكبها الباذخة ؛ وعن أسرار الدعوة الفاطمية ومجالس الحكمة الشهيرة

مجلد فى نحو ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير مطبوع بدار النشر الحديث أجود طبع ومزين بالصور التاريخية

ثمنه ٢٠ قرشاً والبريد أربعة قروش لداخل القطر وستة للخارج

ويطلب من المؤلف بعنوانه بشارع المامي نمرة ٢١

ومن مجلة الرسالة ومكتبة النهضة بشارع المدابغ

وسائر المكاتب الاخرى